دور المال في سياسة خلفاء العصر الأموي - العهد المرواني

د. عربية قاسم احمد
كلية التربية / ابن رشد
قسم التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

اجتمعت اراء افراد البيت الاموي في الجابية بعد مناقشات طويلة على اختيار مروان بن الحكم لسنه وحنكته [١] . وبذلك اصبح خليفة للمسلمين سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م [٢] . ثم سار الى المرج في اهل الاردن من كلب [٣] . لتصفية المناوئين وعلى راسهم الضحاك بن قيس الفهري ووقعت معركة مرج راهط في ذي الحجة سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م [٤] . اسفرت عن مقتل الضحاك وانتصار جيش الخلافة وبذلك ترسخ حكم الامويين من ال مروان فارتفعت مكانه الكلبين عند ال مروان لما قدموه من عون ومساعدة في ارساء دعائم الحكم، وكان ذلك مقابل شروط اشرطوها على مروان وهي نفسها التي كانت لهم في عهد الخليفة معاوية وابنه يزيد وهي " ان يفرض لهم لألفي رجل ألفين ألفين، وان مات قام ابنه او ابن عمه مكانه، وعلى ان يكون الامر والنهي، وصدر المجلس، وكل ما كان من حلّ وعقد فعن رأي منهم ومشورة فرضي مروان بذلك ؛ فانقاد اليه "[٥].

وبعد ان ان استقام الأمر لمروان أراد ان يكون الحكم في بيته ويسير على ما سار عليه السفيانيون رغم ما أعطى من عهود ومواثيق في مؤتمر الجابية في ان تكون الخلافة من بعده الى خالد بن يزيد ثم لعمرو بن سعيد بن العاص الاشدق[٦].

بيد ان الامور لم تسر على ما كان يريد الفرقاء السياسيون، إذ قبل وفاة مروان بن الحكم اخذ البيعة لولديه عبد الملك وبعده عبد العزيز وبعد وفاة مروان بويع ابنه عبد الملك خليفة

٦٥هـ/٦٨٤م فأعلن عمرو بن سعيد الأشدق تمرده مطالباً بحقه في الخلافة بناءً على اتفاق الجابية وتحصن عمرو في دمشق وحاصره عبد الملك مدة ستة عشر يوماً[٧] . ثم جرت مفاوضات بينهما انتهت باستسلام عمرو ودخول عبد الملك دمشق وكان من الشروط التي أملاها عمرو انه سيخلف عبد الملك في الحكم من بعده ويتولى بيت المال والدواوين وان يكون له عاملاً مع كل عام يعينه الخليفة ويجب ان يأخذ بمشورته في كل صغيرة وكبيرة[٨].

ومما لا شك فيه ان بيت المال مؤسسة مهمة في الدولة وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسياسة وبذلك يريد عمرو ان يجمع بين المال والسياسة في آن واحد .

وهذا ما يؤكد طرحه في الوصول للخلافة فما كان من الخليفة عبد الملك الا ان يتخلص منه[٩] . ضمانا لوحدة الدولة واستقرارها وحفاظاً على تماسك الأسرة الأموية ووحدتها.

ثم أمر الخليفة عبد الملك بن مروان بعد ان حزَّ رأسه ورمى به إلى أصحابه الذين تجمعوا عند باب القصر[١٠] . وأمر ان تلقى بدور المال على الناس فلما نظر الناس الى الاموال ورأوا الرأس انتهبوا الأموال وانصرفوا[١١] .

ويعلّق الدكتور دكسن[١٢] . بان الخليفة عبد الملك نجح في تحويل انتباه الناس عن مقتل عمرو الاشدق .

وبعد القضاء على ابن الأشدق عزم أن يأخذ البيعة لابنه الوليد ويخلع اخاه عبد العزيز ولي عهده ولما عرض على أخيه عبد العزيز رفض رفضاً قاطعاً[١٣].

وكان رد فعل عبد الملك واضحاً من رسالة لأخيه " احمل خراج مصر"[١٤]. وكان خراج مصر والمغرب لعبد العزيز قبل ذلك[١٥].

يبدو أن الخليفة عبد الملك استخدم الضغط المالي وسحب صلاحية ولي عهده من هذا الشأن ليغير رأيه .

وفي محاولة ثانية لعبد الملك في سبيل خلع أخيه وولي عهده قدم مصر طعمه[١٦] . ولكن من دون جدوى ولذلك ترك عبد الملك الأمر لله وحده .

كما آثاب الخليفة عبد الملك محمد بن الحنفية بعد ان كتب بيعته لعبد الملك[١٧].

وفي سنة ٧٠هـ " ثارت الروم واستجاشوا على من بالشام من المسلمين فصالح عبد الملك ملك الروم على ان يؤدي اليه في كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على المسلمين"[١٨] . ليتفرغ لتمرد عمرو بن سعيد الاشدق في الشام وقتال مصعب بين الزبير في العراق فتم له ذلك كما أشرنا بالنسبة للأول والثاني في معركة دير الجاثليق سنة ٧١هـ/ودانت له العراق[١٩] . وبذلك تفرغ لمواجهة الروم .

وواجهت الخليفة عبد الملك ثورة حسبها المؤرخون[٢٠] هزّت كيان الدولة الأموية هزاً شديداً في سجستان، حيث أمر الحجاج عبد الرحمن ابن محمد بن الاشعث بقيادة جيش قوامه عشرين ألف رجل من اهل الكوفة ومثلها من البصرة واعطى الناس اعطاتهم كملاً[٢١] .

ولكن هذا الجيش الذي يسمى بجيش الطواويس أعلن تمرده على الحجاج أولاً ثم على الخليفة لأسباب ليس هذا محل سردها[٢٢].

وعندما طالت المعركة وتعقدت الامور خاف الخليفة عبد الملك من العواقب فأرسل جيشاً عليه ابنه عبد الله وأخيه محمد بن مروان من أهل الشام وأمرهما ان يعرضا على أهل العراق خلع الحجاج عن ولاية العراق وأن يجري عليهم أعطياتهم كما تجري على أهل الشام وأن يمنح ابن الأشعث أية ولاية يشاء ما دام حيا لكن ابن الأشعث رفض ذلك[٢٣] . ودارت الدائرة على ابن الأشعث وجيشه وكان مصيره القتل[٢٤].

وبعد أن تسلم الوليد بن عبد الملك الحكم ٨٦هـ/٧٠٥[٢٥] اراد ان ينقض العهد لأخيه سليمان وأن يبايع لأبنه عبد العزيز بيد ان اخيه سليمان ابي ذلك فعرض عليه أموالاً كثيرة لكنه رفض[٢٦]، فضلاً عن ذلك استخدم الوليد قسماً من الشعراء والرجاز للضغط على سليمان حتى يتراجع عن موقفه وهذا بالطبع لقاء أموال دفعها لهم بيدَّ ان سليمان ظل مصرّاً على موقفه وتوعد للوليد قائلاً: " لما أراد الوليد أن يبايع لابنه عبد العزيز بعد سليمان أبي سليمان وشفع عليه وقال للوليد: لو أمرت الشعراء أن يقولوا في ذلك لعله كان يسكت فيشهد عليه بذلك قد الأقبيل العتبي فقال له: ارتجز بذلك وهو يسمع فدعا سليمان فسايره والأقبيل خلفه "[٢٧] . فانشد قائلا:

" أن ولي عهدهِ ابن أمهِ

ثم ابنهُ ولي عهد عمهِ

قد رضى الناس بهِ فسمهُ

فهو يضمُ الملك في مضمهِ

ياليتها فقد خرجت من فمهِ

حتى يعودَ الملك في أخطمهِ

فلما سمع سليمان ثار ولعن الاقبيل"[٢٨] .

يبدو أن الشاعر عبّر عن رضاء الناس وترحيبهم بولي العهد ابن الخليفة وتمنى أن يكون سليمان مبايعاً له لكن دون جدوى .

ومن المؤكد أن الشاعر لم يصرّح بشعره ما لم تدر عليه الأموال من قبل الخليفة، فكان للمال دور فاعل ولاسيما وان الشاعر انذاك كان يمثل وسائل الأعلام المقروءة، والمسموعة والمرئية في الوقت الحاضر .

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله جرير في حث الرعية على المبايعة لعبد العزيز بن الوليد قائلاً:

"رأوا عبد العزيز ولي عهد

وما ظلموا بذلكَ ولا أساءوا

فأن الناسَ قد مدوا إليهِ

أكفهم وقد برحَ الخفاءُ

ولو قد بايعوكَ ولي عهد

لقامَ الوزنُ واعتدلَ البناءُ"[٢٩] .

توفي الخليفة الوليد بن عبد الملك في سنة ٨٦هـ/٧١٤م[٣٠] . وتولى الخلافة من بعده أخوه سليمان الذي عهد بها من بعده الى عمرو بن عبد العزيز سنة ٩٩هـ[٣١] . الذي اتبع

سياسة خالف بها سيرة سبعة من خلفاء بني أُمية مما اغضب قرابته واسرَّ بها عامته وهذا يؤكده ابن سعد[٣٢]: " ولي عمر بن عبد العزيز بعد صلاة الجمعة، فانكرت حالة في العصر" فضلاً عن ذلك، فقد لجا الى السلام وحقن الدماء مع الحركات المعارضة للخلافة الاموية واتبع طريقة الحجة والإقناع واجماع المسلمين دون فرقة بينهم .

فكان للعلويين نصيب من هذه الرعاية وترجع جذورها أيام ولايته على المدينة (٨٧-٩٣٤هـ) . ويؤكد ابن سعد[٣٣] . على عمق العلاقة بينهما والحديث الذي دار بينه وبين فاطمة بنت الحسين بن علي ابي طالب (رضى الله عنهم اجمعين) فاحتوى الهاشميين والعلويين ووصلهم بالأموال وهذا ما يؤكده ابن سعد[٣٤]:" أول مال قسّمه عمر بن عبد العزيز لمال بعث به إلينا اهل البيت، فأعطى المرأة ما يعطى للرجل وأعطى الصبي مثل ما تعطى المرأة. قال: فأصابنا أهل البيت ثلاثة ألاف دينار وكتب لنا اني ما بقيت لكم اعطيتكم جميع حقوقكم ".

وهناك رواية أخرى في صلة الخليفة عمر بن عبد العزيز ببني هاشم، أنه بعث لهم الأموال وطلب من والي المدينة أن يضم إليها " خمسة الاف او ستة الاف حتى يكون عشر آلاف دينار، وان تاخذ تلك الآلاف من الكتيبة ثم تقسم ذلك على بني هاشم وتسوى بينهم الذكر والأنثى والصغير والكبير سواء "[٣٥] .

كذلك كتب الى والي المدينة ان يقسم في ولد الأمام علي (عليه والسلام) عشر الأف دينار فكتب الوالي " ان علياً قد ولد في عدة قبائل من قريش ففي أي ولدهِ ؟ "[٣٦] . فكتب الخليفة: " لو كتبت إليك في شاه تذبحها لكتبتَ الي أسوداء أم بيضاء، اذا اتاك كتابي هذا فأقسم في ولد علي من فاطمة (رضوان الله عليهم) عشر عشرة آلاف دينار، فطالما تخطتهم والسلام "[٣٧]، وقد بعث اليهم بسهم الرسول ومنهم ذوي القربى[٣٨] . وكان لهذه الإثابة تأثير كبير في نفوس العلويين ومنهم فاطمة بنت الحسين (عليهما السلام) حيث شكرته وأثنت عليه قائلة: " بسم الله الرحمن الرحيم .... فان أمير المؤمنين .... قسم فينا مالاً من الكتيبة، ويتحرى بذلك ما كان يضع من كان قبله من الأئمة الراشدين المهديين، فقد بلغنا ذلك وقسّم فينا فوصل الله امير المؤمنين وجزاه من وال خير ما جزي أحداً من الولاة ... فأقسم لك بالله يا امير المؤمنين لقد أختدم من ال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) من كان لا خادم له،

واكتسى من كان عارياً واستفق من كان لا يجد ما يستنفق " [٣٩] . فلما وصل الكتاب واطلع عليه أمر للرسول " بعشرة دنانير وبعث إلى فاطمة بخمسمائة دينار وكتب اليها كتاباً يذكر فضلها وفضل اهل بيتها"[٤٠] .

فشكرت فاطمة بنت الحسين (عليهما السلام) عمر واثنت عليه قائلة: " لو كان بقي لنا ما احتجنا بعد الى أحد "[٤١] .

ويروي الأصفهاني[٤٢] . في رواية ان الخليفة عمر بن عبد العزيز لم يقتصر عطائه على بني هاشم والعلويين، بل تعدى من ولاهم قائلاً: " ان عمر بن عبد العزيز كان يعطي الغرباء مائتي درهم فجاء رجل .... من اهل الحجاز قال: من أيهم ؟ قلت: من اهل المدينة . قال من ايهم ؟ قلت: من قريش ؟ قلت: من بني هاشم . قال: من أي بني هاشم ؟ قلت مولى علي بن ابي طالب فقال: انا والله مولى علي، ثم قال: اشهد على عدد من ادرك النبي (صلى الله عليه واله وسلم) يقول: قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: "كنت مولاه فعلي مولاه اين مزاحم ؟ كم تعطي مثله ؟ قال: مائتي درهم . قال: اعطه خمسين دينارا لولائه من علي.....".

وقد ردَّ الخليفة عمر بن عبد العزيز فدك عما كانت عليه زمن الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) .

ففي رواية للبلاذري: " ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة خطب فقال: أن فدك كانت مما أفاء الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فسألته اياها فاطمة رحمة الله تعالى فقال: ما كان الله ان تسأليني وما كان لي أن أعطيك فكان يضع ما يأتيه منها في ابناء السبيل ثم ولي ابو بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم) فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ثم ولي معاوية فاقطعها مروان بن الحكم فوهبها لي، وسألت سليمان حصته منها فوهبها لي فاستجمعتها وما كان لي من مال أحبُّ الي منها فأشهدوا أني قد رددتها الى ما كانت عليه " .

وكان للموالي نصيب في اهتمام الخليفة والنظر في مظالمهم والمعروف ان الموالي منذ زمن الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) والخلفاء الراشدين بالمساواة مع المسلمين العرب بالعطاء، بيدِّ ان الموالي في عهد الدولة الأموية عانوا من مظالم كثيرة منها حرمانهم من

العطاء اذ كانوا ينظرون الى الموالي على أنهم فيء افاءه الله عليهم فأعتقوا رقابهم بأمل الأجر والثواب والشكر، لا يستحقون بذلك عطاء او نصيبا من الفيء[٤٣] . فقدم أحد الموالي الى الخليفة يشكو حالهم قائلاً: " يا أمير المؤمنين عشرون الفا من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق "[٤٤] .

فاصدر الخليفة أمراً " جعل العرب والموالي في الرزق والكسوة والمعونة والعطاء سواء"[٤٥] . كما امر بردِّ العطاء على الذين حرموا منه[٤٦] .

وهكذا ابطل عمر بن عبد العزيز تلك المظالم التي اصابت الموالي واعادت لهم حقوقهم وبعث في انفسهم الهدوء والسكينة .

وببذل المال احتوى الخليفة عمر بن عبد العزيز بين مشكلة الموالي وكسبهم الى جانب الخلافة الاموية بعد ان كانوا يشكلون خطراً عليها على الرغم من إصابة بيت المال بنقص الواردات .

اعتلى الخلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥هـ/٧٢٣م) بعهد من أخيه يزيد ابن عبد الملك وأن تكون الخلافة لأبنه الوليد بن يزيد بعد وفاة هشام[٤٧] . بيد ان الأمور لم تسر على ما اراده يزيد فبدا هشام بمحاولة خلع الوليد بن يزيد من العهد وتولية أبنه مسلمة بن هشام[٤٨] . بيد أن الوليد كظم غيظه ورفض[٤٩] .

وكان للمال دور في اخفاق البيعة لمسلمة بن هشام، فنرى أن نصر بن سيار كان والياً للخليفة في خراسان ١٢٠هـ/٧٣٧م وكان يرى أن يكون العهد للوليد، ففي رواية للطبري تقول[٥٠]: أن الازرق بن قرة المسمعي من أهل الترمذ قدم على نصر بن سيار في أيام هشام بن عبد الملك فقال لنصر: " اني رأيتُ الوليد بن يزيد في المنام، وهو ولي عهد شبه الهارب من هشام، ورايتهُ على سرير فشرب عسلاً وسقاني بعضه، فاعطاه نصر اربعة الاف دينار وكسوة".

يبدو ان نصر بن سيار وهو أحد رجالات هشام كان ضده فضلاً عن ذلك اشترى صوتاً مؤيداً للوليد بن يزيد وأثابه وفي الوقت نفسه نرى أن الوليد بن يزيد ارتاح لهذا الخبر وأكرم الأزرق وأثابه[٥١] .

وفي الوقت نفسه أراد هشام بن عبد الملك أن يرسل مسلمة بن هشام أميراً للحج سنة ١١٩هـ/٧٣٧م ومعه ابن شهاب الزهري فأظهر النسك وقسّم الأموال بمكة والمدينة في سبيل كسب الناس لجانبه ونبذ الوليد ولإظهار ابنه الأفضل[٥٢] .

ونلاحظ أن الخليفة هشام بن عبد الملك عمل على كسب قسم من الشعراء وحثهم على البيعة لأبنه مسلمة، إذ دعا أبنه مسلمة أن يتصل بأهل المدينة وشعرائها ويطلب منهم مساندته في خلع الوليد ويدعوهم الى زيادة مركز الخلافة ووعدهم بالجوائز، ويروى أن قوماً من اهل المدينة يرأسهم عروة بن أذينة خرجوا قاصدين هشام فلما دخلوا عليه انشده في حث الناس وتزيين البيعة قائلاً:

أتينا نمت بأرخامنا

وجئنا بإذن أبي شاكر

فأن الذي سارَ معروفة

بنجدٍ وغارَ مع الغائر[٥٣] .

وللشاعر الكميت بن زيد الأسدي حضور لدعة الناس وترغيبها لخلافة مسلمة بن هشام قائلا:

إن الخلافة كائن أوتائها

بعد الوليدِ إلى ابنِ أم حكيم[٥٤] .

ولم يكتف الخليفة هشام باستخدام المال لخلع الوليد، بل تعدى ذلك الى قطع كل ما كان يجري على الوليد من أرزاق " قطع هشام عن الوليد ما كان يجري عليه"[٥٥] . ولما عاتبته الوليد بن يزيد ردَّ الخليفة هشام برسالة على الوليد قائلاً: " أمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يجري عليك، ولا يتخوف على نفسه افتراق المأثم الذي احدث من قطع ما قطع، ومحو من محا من صحابتك لامرين: اما أحدهما فايثار امير المؤمنين اياك بما كان يجري عليك، وهو يعلم وضعك له وانقاقكه غير سبيله، وما الاخر فاثبات صحابتك، وإدرار أرزاقهم عليهم، لا ينالهم ما ينال المسلمين في كل عام من مكروه عند قطع البعوث ..."[٥٦].

وهنا نلاحظ أن الخليفة هشام استخدم الضغط المالي وقطع الرزق له ولاصحابه لأنهم لا يستحقونه ولم يستخدموا المال في الطرائق المشروعة .

توفي الخليفة هشام بن عبد الملك واعتلى الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/ ٧٤٢-٧٤٣م) فأول عمل قام به دعا العباس بن الوليد بن عبد الملك ان ياتي الى الرصافة ويقوم بعملية احصاء اموال هشام واولاده إلاّ مسلمة بن هشام الذي كان يرفق وبكف والده عن اذاء الوليد بن يزيد[٥٧] . فضلاً عن ذلك فقد اوعز الى عياض بن مسلم كاتبه الذي كان مسجوناً في سجن هشام أن يغلق ابواب بيوت المال ففعل فلما توفى الخليفة هشام وارادوا تجهيزه كانت الخزائن مقفلة فتولى غالب مولى هشام المهمة[٥٨] .

لقد سار الخليفة الوليد بن يزيد سيرة حسنة في أول امرة " وأمر لكل إنسان منهم بخادم وأخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة وزادهم على ما كان يخرج لهم هشام وزاد الناس جميعاً في العطاء عشرة عشرة ثم زاد اهل الشام خاصةً بعد زيادة العشرات عشرة عشرة ....، وزاد من وفد اليه من اهل بيته في جوائزهم الضعف "[٥٩] .

فمن الطبيعي كلما زاد العطاء زاد كسب الناس من أهل الشام وخاصته فضلاً عن ذلك كان الكرم من صفاته قبل ان يتولى الخلافة فكان يُهيئ الطعام للحجيج بمنزل يقال به زيزاء ثلاثة ايام ويلف دوابهم ويطعم من وفد اليه من اهل الصائفة قافلا ولم يرد احد[٦٠]. " ولم يقل في شيء يُسأله: لا، فقيل له: ان في قولك: انظر رعدةً، ما يقيم عليها الطالب فقال: لا أعودّ لساني شيئاً لم اعتده وقال:

ضَمِنْتُ لكم إن لم تعقني عوائق

بأن سماءَ الضر عنكم ستقلعُ

سيوشكُ الحاق معاً وزيادة

وأعطيةٍ مني عليكم تبرعُ

مُحرَّمكم ديوانكم وعطاؤكمْ

بهِ يكتب الكتابَ شهراَ وتطبعُ "[٦١] .

وبعد ان استقام الامر له اراد ان يحافظ على حكمه فقام بمبايعة ولديه الحكم وعثمان من بعده[٦٢] . وهما لم يبلغا سن الرشد فأثار ذلك نقمة افراد البيت الأموي وخواصه[٦٣] . وكان خالد بن عبد الله القسري والي العراق السابق للخليفة هشام بن عبد الملك وشيخ قبائل اليمانية احد المعارضين لبيعة ولديّ الوليد وفي الوقت نفسه كان رافضاً لخلع الوليد من البيعة وشجب موقف الخليفة هشام[٦٤] . فبدأ الخليفة يزيد يزيد بمحاسبة خالد القسري عن خراج العراق مطالباً اياه بالخمسين ألف ألف الذي أتهم باختلاسها عندما كان والياً على العراق زمن الخليفة هشام فطلبة الحضور أمام الخليفة الى ان جاء يوسف بن عمر والي العراق وخصم خالد القسري فقدم الخليفة خراج العراق الذي اتهم خالد باختلاسه، وعرض يوسف ان يشتري خالد بالمال خمسين ألف ألف درهم الذي اتى به من العراق فوافق الخليفة ورهب بهذه الفكرة لان بأمس الحاجة للمال ليملأ الخزينة بسبب زيادة الأعطيات[٦٥].

ونلاحظ انه استخدم المال سلاحاً ضد اعدائه على الرغم من أنه كان في وضع مالي لا يحسد عليه نظراً لما أنفقه في زيادة الأعطيات .

وفي الوقت نفسه استخدم معارضيه من البيت الأموي ومنهم يزيد بن الوليد وهو أحد أولاد الخليفة الوليد بن عبد الملك[٦٦] . وكان طموحاً بالسلطة ويفضل نفسه على غيره فعمل على كسب الناس إليه ونبذ الوليد بن يزيد وذلك ببذل المال وكان يتحين الفرصة للإطاحة بحكمه فالتف حوله اليمانية واتخذوه قائداً لهم فعرضوا البيعة عليه[٦٧] . تمكن يزيد من الوليد واصحابه من الاطاحة بحكم الوليد فدخل المسجد وكان فيه المال والسلاح وقد جاء به سليمان بن هشام من الجزيرة في خلافة ابيه هشام[٦٨] . علماً انْ يزيد بن الوليد أرسل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بعد أن سيطر على المسجد على باب الجابية وقال: " من كان له عطاء فليأتِ الى عطائه، ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم مُعونة "[٦٩] .

وفي رواية اخرى للطبري[٧٠] . "ان يزيد بن الوليد امر مناد ينادي: من ينتدب الى الفاسق وله ألف درهم ؟ فاجتمع اليه أقل من ألف رجل، فأمر رجلاً فنادي: من ينتدب الى الفاسق وله الف وخمسمائة ؟ فانتدب اليه يومئذ الف وخمسمائة" .

وهذا يؤكد ما للمال من دور في كسب الرجال وتغير المواقف .

ولما تقدم جيش يزيد نحو حصن البخراء مستقر الوليد واعوانه كان وضعهم العسكري ضعيفا، فلم يمدهم احد بالمال ولا السلاح[٧١] . وزادت حراجة موقف الوليد بن يزيد لان بني كلب التدمريين لم يكن لهم رغبة في قتال بني كلب الدمشقيين[٧٢] .، كما لم يكن له من المال ما يكفي "وكان قد أعطاهم صكوكاً يتقاضونها فيما بعد لان المال قد نفذ من يديه"[٧٣] .

وزاد هذا حراجة موقف الخليفة الوليد بن يزيد وادرك رجاله ان حاضرهم ليس فيه امل[٧٤] . فأراد الوليد إغراء عبد العزيز بن الحجاج بأن يعطيه خمسين ألف دينار وولاية حمص ولكن من دون جدوى[٧٥]. فأنحاز رجال الوليد ابن يزيد الى جانب عبد العزيز بن الحجاج للحصول على المال والمناصب بعد ان أيقنوا أن الوليد ما عاد له مال ولا رجال ولا جاه[٧٦] . فقتل في سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م في البخراء[٧٧] .

وهكذا بدا من الواضح ان المال كان السلاح الذي حارب به الخليفتين الامويين وكسبوا من خلاله الاتباع والمؤيدين .

وما ان اعتلى الخليفة يزيد بن الوليد الخلافة حتى بدأ يواجه عدة مشكلات[٧٨]، فكان من مصلحته ان يكون دبلوماسياً لكي يحافظ على حكمه ويكسب ولاء الناس فخطب بهم في حفل المبايعة قائلاً: ".... وأن لكم أعطياتكم عندي في كل سنة وأرزاقكم في كل شهر، حتى تستدر المعيشة بين المسلمين، فيكون أقصاهم كأدناهم، فإن وفيت لكم بما قلت، فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة وإن أنا اف فلكم أن تخلعوني، إلاّ أن تستتيبوني بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما اعطيتكم فأردتم ان تبايعوه فأنا اول من يبايعه ويدخل في طاعته" [٧٩] .

ويتبين ان يزيد اراد اغراء الناس بزيادة عطاء اتهم ورفع مستواهم المعاشي ليكونوا افضل مما كانوا عليه في زمن الخليفة الوليد بن يزيد فكانت المنفعة متبادلة بين الخليفة يزيد ورعيته كان ينفق المال مقابل السمع والطاعة، لكن هذا لم يتحقق ذلك انه نقص الناس الزيادة التي كان الوليد بن يزيد قد زادهم اياها في اعطياتهم فسمي لذلك يزيد الناقص [٨٠] .

ولابدَّ التأكيد هنا أنَّ المال يكسب الرجال فهو كذلك يغير مواقفهم .

توفي الخليفة يزيد بن الوليد بعد ستة اشهر من ولايته في ذي الحجة من سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م [٨١] . فعين اخيه ابراهيم وليا للعهد وعبد العزيز بن عبد الملك من بعده سنة ١٢٦هـ [٨٢] . ولم يحظى بتأييد واسع فكان يسلم عليه جمعة بالإمارة وجمعة بالخلافة وجمعة لا يسلمون عليه لا بالخلافة ولا بالإمارة [٨٣] .

ولقصر مدة حكمة التي لم تدم الا اربعة اشهر [٨٤] . فلم تكن هناك الكثير من المصروفات لتغطية النفقات في مجالات الدولة المتعددة . لذا نرى لم تكن هناك من الروايات التاريخية التي تعزز دونه في مجال الانفاق .

ونظراً لتردي أوضاع الخلافة على ما أصابها من كثرة الهرج والاختلاط واختلاف الكلمة وسقوط الهيبة" [٨٥] . مما شجع مروان بن محمد التحرك نحو دمشق ودخولها [٨٦] . وعلى أثر وصول مروان هرب ابراهيم بن الوليد [٨٧] .

وبذلك بويع الخليفة مروان بن محمد بالخلافة (١٢٧–١٣٢هـ/٧٤٤–٧٥٠م) في دمشق [٨٨] .

تميزت مدة خلافته بعدم الاستقرار السياسي وشهدت معظم ايام حكمه بالحروب والحركات المناوئة والانقسامات [٨٩] . والتي كلفته الكثير من المال والرجال .

ولم تتحدث المصادر التاريخية عن مبالغته في الانفاق الا في المجال العسكري.

هوامش البحث

(١) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، أنساب الأشراف، القدس، ١٩٣٦م، ج٥، ص١٣٨.

(٢) ابن سعد، ابو عبد الله محمد بن منيع (ت: ٢٣٠ هـ/٨٤٢م)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م، ج٥، ص٤١ ؛ ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري (ت: ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، رواية بقي بن مخلد، حققه سهيل زكار، مطابع وزارة الارشاد، بغداد، ج١، ص٣٢٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ط٦، ج٥، ص٥٣٧.

(٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٥، ص٥٣٤.

(٥) المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب العربي، بغداد، ج٣، ص١٠٣.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٤١.

(٧) البلاذري، انساب الاشراف، باعتناء فلوسنجر، القدس، ١٩٣٨م، ج٤ – ق٢، ص١٣٨–١٤٠.

(٨) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص٣٣٧.

(٩) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ج١، ص٣٣٧.

(١٠) البلاذري، انساب الاشراف، ج٤ – ق٢، ص١٤٠.

(١١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص١٤٥.

(١٢) عبد الامير، الخلافة الاموية (٦٥ – ٨٥ هـ / ٦٨٤ – ٧٠٥م)، دراسة سياسية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣م، ص٢٠٥.

(١٣) الطبري، تاريخ الطبر، ج٦، ص٤١٤ ؛ ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، مصر، مطبعة السعادة،/ ج٩، ص٥٨–٥٩.

(١٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٤١٤.

(١٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٥٩.

(١٦) اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب (ت:٢٨٤هـ/٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م، ج٣، ص٢٧٩.

(١٧) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص١١١.

(١٨) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص١٥٠ ؛ فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية، نقله عن الالمانية د. محمد عبد الهادي ابو ريدة، راجع الترجمة د. حسين مؤنس، ص١٨٤.

(١٩) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص١٦٠.

(٢٠) ولهاوزن، تاريخ الدولة وسقوطها، ص٢٢٤.

(٢١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٣٢٧.

(٢٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٣٣٦.

(٢٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٣٤٧.

(٢٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٣٨٩–٣٩٠.

(٢٥) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ج١، ص٣٩٦.

(٢٦) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٤٩٨.

(٢٧) ابن عبد ربه، ابي عمر احمد بن محمد ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)، العقد الفريد / تحقيق احمد امين، احمد الزين، ابراهيم الابياري، مطبعة لجنة التاليف والترجمة، القاهرة، ط٣، ص١٩٦٥م، ج٢، ص١٩٦.

(٢٨) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢، ص١٩٦.

(٢٩) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٠٦–٥٠٧.

(٣٠) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٤٩٥.

(٣١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٥٠.

(٣٢) الطبقات، ج٥، ص٣٤١.

(٣٣) الطبقات، ج٥، ص٣٩٠.

(٣٤) الطبقات، ج٥، ص٣٩٢.

(٣٥) ابن سعد الطبقات، ج٥، ص٣٨٩.

(٣٦) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢١٢.

(٣٧) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢١٢.

(٣٨) ابي يوسف، يعقوب بن ابراهيم (ت:١٨٢هـ/٧٩٨م)، الخراج، مطبعة دار ابو سلامه للطباعة والنشر، تونس، ط١، ١٤٠٥هـ. ١٩٨٤م، ص٢٣.

(٣٩) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٣٩٠.

(٤٠) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٣٩٠.

(٤١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت:٩١١هـ .١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٣٨٣هـ.١٩٦٤م، ص٢٣٥.

(٤٢) ابو الفرج علي بن الحسين (ت:٣٤٦هـ.٩٦٧م)، الاغاني، مصور عن طبعة دار الكتب المثرية، مصر، د.ت، ج٩، ص٢٦٣-٢٦٤.

(٤٣) الصولي، ابو بكر محمد بن يحيى (ت:٣٣٥هـ/٩٤٦م)، أدب الكاتب، تحقيق محمد بهجة الاثري، المطبعة السلفية، القاهرة، ص١٣٤١هـ.١٩٢٢م، ص٢٢٤.

(٤٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٥٩.

(٤٥) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٢٥٦.

(٤٦) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٢٧٧.

(٤٧) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٠٧.

(٤٨) الاصفهاني، الاغاني، ج٦، ص١٠٣.
(٤٩) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٠٩.
(٥٠) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٢٥.
(٥١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٢٥.
(٥٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢١٠.
(٥٣) الاصفهاني، الاغاني، ج١٨، ص١٢٥.
(٥٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢١٠.
(٥٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢١١.
(٥٦) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢١٣.
(٥٧) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢١٦.
(٥٨) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢١٥.
(٥٩) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢١٧ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٤.
(٦٠) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢١٧.
(٦١) الطبري، تاريخ الطبري، ص٢١٧–٢١٨،
(٦٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢١٨.
(٦٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٣٢.
(٦٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٥٨.
(٦٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٥٤.
(٦٦) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢١٨.
(٦٧) ولهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، ص٣٤٨.
(٦٨) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٤١.
(٦٩) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٤٢.
(٧٠) تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٤٣.
(٧١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٤٤.

(٧٢) ولهاوزن، تاريخ الدولة وسقوطها، ص٣٥٠.

(٧٣) ولهاوزن، تاريخ الدولة وسقوطها، ص٣٤٩.

(٧٤) ولهاوزن، تاريخ الدولة وسقوطها، ص٣٤٩.

(٧٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٤٥.

(٧٦) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٤٦.

(٧٧) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٥٢.

(٧٨) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٦٣.

(٧٩) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٦٨-٢٦٩ ؛ ولهاوزن، تاريخ الدولة وسقوطها، ص٣٥١-٣٥٢.

(٨٠) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٦١ ؛ ولهاوزن، تاريخ الدولة وسقوطها، ص٣٥٣.

(٨١) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ج٢، ص٥٥٧.

(٨٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٩٥.

(٨٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٩٩.

(٨٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٦٨.

(٨٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٦٨.

(٨٦) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٣٠٢.

(٨٧) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٣٠٢ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٧٤.

(٨٨) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص٣٣٧.

(٨٩) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٣٠٥، ص٢٢٣، ص٣٤٨.

قائمة المصادر والمراجع

١. الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م) الاغاني، مصور عن مطبعة دار الكتب المصرية، مصر .

٢. البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) انساب الاشراف، القدس، ١٩٣٦م، الجزء الخامس . انساب الاشراف، باعتناء فلو سنجر، القدس، ص١٩٣٨م، الجزء الرابع .

٣. ابن خياط، خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)

٤. تاريخ خليفة بن خياط، رواية بقي بن مخلد، حققه سهيل زكار، مطابع وزارة الارشاد، بغداد .

٥. دكسن، عبد الامير الخلافة الاموية (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م)

٦. دراسة سياسية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣م .

٧. ابن سعد، ابو عبد الله بن منيع (ت٢٣٠هـ/٨٤٢م)

٨. الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .

٩. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)

١٠. تاريخ الخلفاء، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ص١٣٨٣هـ.١٩٦٤م .

١١. الصولي، ابو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م)

١٢. ادب الكتاب، تحقيق محمد بهجة الاثري، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤١هـ ١٩٢٢م .

١٣. الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٤م)

١٤. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة .

١٥. ابن عبد ربه، ابي عمر احمد بن محمد (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)

١٦. العقد الفريد، تحقيق احمد امين، حمد الزين، ابراهيم الابياري، مطبعة لجنة التاليف والترجمة، القاهرة، ط٣، ١٩٦٥م .

١٧. فلهاوزن، يوليوس

١٨. تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية / نقله عن الالمانية د. محمد ابو ريدة، وراجع الترجمة د.حسين مؤنس .

١٩. ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)

٢٠. البداية والنهاية، مطبعة السعادة، مصر .

٢١. المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)

٢٢. مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب العربي، بغداد .

٢٣. اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)

٢٤. تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٩هـ.١٩٦٠م .

٢٥. ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (ت١٨٢هـ/٧٩٨م) الخراج، مطبعة دار سلامة للطباعة والنشر، تونس .